الفصل الثالث

الوقف والمنشآت التعليمية

ملأت المدارس مدن العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ويذكر التاريخ بكثير من الإكبار والإعجاب نفراً من أمراء المسلمين كانت لهم اليد الطولى في إنشاء المدارس في مختلف الأمصار، منهم صلاح الدين الأيوبي، حيث أنشأ المدارس في جميع المدن التي كانت تحت سلطانه في مصر ودمشق والموصل وبيت المقدس، ومنهم نور الدين الشهيد الذي أنشأ في سوريا وحدها أربعة عشر معهداً، منها ستة في دمشق، وأربعة في حلب، واثنان في حماه، واثنان في حمص، وواحد في بعلبك، ومنهم نظام الملك الوزير السلجوقي العظيم الذي ملأ بلاد العراق وخراسان بالمدارس حتى قيل فيه إن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة، وكان ينشئ المدارس حتى في الأماكن النائية، وكلما وجد عالماً في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب. وبجانب هؤلاء العظماء كان الأمراء والأغنياء والتجار يتسابقون في بناء المدارس، والوقف عليها بما يضمن استمرارها وإقبال الطلاب عليها، وكثيرون جداً هم الذين جعلوا بيوتهم مدارس، وجعلوا ما فيها من كتب وما يتبعها من عقار وقفاً على طلاب العلم الدارسين فيها[1]. يتضح من هذا العلاقة الوثيقة التي ربطت بين الوقف وازدهار عمران المدارس في المدينة الإسلامية، الذي انعكس، ولاشك، على

---

(١) مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣٦.

حركة التعليم في ذلك الوقت، بل جعل بلاد المشرق العربي مقصداً للطلاب والمدرسين من كل صوب من مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

وقد كانت عوائد الأوقاف المصدر المالي الأساس والوحيد لغالبية المؤسسات التعليمية ومراكز التعليم في العصور الإسلامية المتقدمة، ومن هنا فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها الأمصار والبلاد الإسلامية والتي كانت تدين بوجودها إلى كثرة المدارس واستمرار التعليم فيها، إنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف وكثرتها وديمومة عوائدها الخيرية. ولم يقتصر أثر الأوقاف على التعليم في كونها المصدر الأساس والوحيد الذي يمده مالياً، إنما تعدى الأمر إلى تدخل الأوقاف في تنظيم كافة الجوانب العلمية والتعليمية، حتى اعتبرت الوثائق الوقفية بمثابة لائحة أساسية تنظم شئون التعليم وتصنع الأسس التربوية[٢].

يؤكد أحد الباحثين على أنه بدون توفيق الله للواقفين ما كان بالإمكان أن تقوم قائمة للمدرسة في العصر المملوكي، على سبيل المثال، كما يرى أن أثر الوقف على التعليم لم يقتصر على أنه كان مجرد مورد مالي، بل تعدى الأمر ذلك إلى كافة جوانب العملية التعليمية حتى يمكننا القول إن وثيقة الوقف أو كتاب الوقف كان بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسات التعليمية، التي تضم الأسس التربوية للتعليم والشروط التي يجب أن تتوافر في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة، وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية. كما يمكن القول بأن دور الوقف تجاوز توفير المدرس وإتاحة الكتب وتخصيص نفقات للطلاب، إلى توفير الحبر والورق والطعام والكساء وغير ذلك، مما يوفر لطلبة العلم كل سبل الراحة حتى يتمكنوا من التحصيل دون أي عائق مادي[٣].

---

(٢) عبد الستار إبراهيم الهيتي، *الجامعة الوقفية الإسلامية*، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٣) يحيى محمود بن جنيد الساعاتي، *الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي*، مرجع سابق، ص ص ٢٢- ٣٧.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤسسة الوقف عنت بشؤون التعليم من خلال نطاقين متلازمين ومتوازنين؛ روحي، ومادي. فكان علماء الإسلام يشكلون ظاهرة موسوعية في المعرفة، ولم تكن علومهم نافعة بدرجة أقل من التزامهم بالمبادئ التي يتلزمون بها في علومهم ومعارفهم، فالعلوم المادية التي يحققها المجتمع تكون مسّخرة لتنمية الملكات الروحية، وبالتالي فإن المجتمع الذي يعجز عن تحقيق التوازن والانسجام بين التطور المادي والتربية الإيمانية هو مجتمع متخلف، من وجهة نظر القيم السليمة ولو أنه تطور بعيداً في الوصول إلى متع الدنيا ومباهج الحياة[٤]، من أجل هذا كان العلم الديني ملازماً للعلم التجريبي من هندسة وطب وصيدلة وغيره في المدارس الموقوفة، كظاهرة عامة.

(٣,١) المساجد كمدارس علمية

كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة في الحضارة الإسلامية، فلم يكن مكان عبادة فحسب، بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة[٥]. وكان التدريس يتم في المسجد على شكل حلقات[٦]، وكانت الحلقة تتسع أو تضيق تبعاً لعدد الطلاب، فقد كانت حلقة إمام

---

(٤) ياسر عبد الكريم الحوراني، *تجربة الوقف في إطار عالمي*، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٥) مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٦) سمي التدريس حلقة لأن الطلبة كانوا يتحلقون حول شيخهم على شكل حلقة أو شبه عقد، ولم يكن للحلقة مكان مخصص في المسجد، فقد كانت أحياناً تعقد في الزوايا، أو في المقصورة، وكان الشيخ يجلس في بعض الأحيان في المحراب (حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢١).

المالكية بمصر أبي بكر النعالي (المتوفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م) بمسجد عمرو بن العاص تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة من يحضرها[٧].

وكانت المساجد مراكز للعلم في تاريخ الحضارة الإسلامية، يدرس فيها القرآن والسنة والعلوم الشرعية واللغوية التي تعين على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحتى العلوم العقلية والتجريبية من رياضيات ومنطق وفلسفة وطب وكيمياء كان الطلبة يدرسونها في المساجد. ومن هنا كان المسجد هو أول مدرسة وجامعة ومؤسسة علمية في تاريخ الحضارة الإسلامية. ومن هنا أيضاً كان إقبال المسلمين على وقف ممتلكاتهم لبناء المساجد والإنفاق على صيانتها، وعلى شيوخ العلم والطلبة الذين كانوا يقصدونها من مختلف الأماكن للعبادة وللتعليم والتعلم[٨].

وقد كانت الأوقاف هي السبب المباشر في احتفاظ المساجد الكبرى بشهرتها العلمية من ناحية، وفي استمرارها كمركز للحركة العلمية في كافة أنحاء العالم الإسلامي من ناحية أخرى، وذلك عن طريق ما كان يوقف على حلقات العلم بهذه المساجد. ويؤكد المقريزي على ذلك فيقول، نقلاً عن شمس الدين بن الصائغ الحنفي "أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح مكانه"[٩].

---

(٧) كامل حيدر، *العمارة العربية الإسلامية*، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، مرجع سابق، ص ٢١.

(٨) محمد الحجوي، *الوقف الخيري في المغرب قديماً وحديثاً وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي*، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٩) محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص ص ٢٦٠- ٢٦١.

وبذلك فقد كان للوقف دور في عمارة المسجد كمكان للتعلم وتلقي العلم، وبذا لم تقتصر وظيفة المسجد على الصلاة والعبادة، بل امتدت إلى جوانب تعليمية وثقافية واجتماعية أخرى.

(٣,٢) الكتاتيب

أقيم الكتّاب بجوار المسجد، وخصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية والرياضة، وكان الكتّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر. وكانت الكتاتيب من الكثرة في المدينة الإسلامية، فقد عد ابن حوقل ثلاثمائة كتّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية، وأن الكتّاب الواحد كان يتسع للمئات أو آلاف من الطلبة. وكان الكتّاب من الاتساع أحياناً بحيث يضم مئات وآلافاً من الطلاب. ومما يذكر في التاريخ أن أبا القاسم البلخي كان له كتّاب يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ، وكان كتّابه فسيحاً جداً بحيث يحتاج إلى أن يركب حماراً ليتردد بين طلابه، وليشرف على شئونهم[١٠].

كما كانت الكتاتيب والمكاتب تقام خصيصاً لتعليم الأيتام، ويذكر المقريزي أنه في عهد المماليك صدر توجيه يلزم كل من يؤسس مدرسة للعلوم الشرعية، بأن يقيم بجوارها كتّاباً للأيتام والفقراء والمساكين، وقد أنشئت الكتاتيب بوفرة تحقيقاً لذلك، في أمكنة متفرقة من مصر، وكان تلاميذها يتلقون التعليم والإعاشة عن طريق الوقف[١١].

وقد وجد الرحالة ابن جبير عدداً كبيراً من الكتاتيب التي وقفت على الأيتام، في مدينة القاهرة، في القرن السادس الهجري، وكانو يسمونها آنذاك "كتّاب سبيل"[١٢].

---

(١٠)مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣١.

(١١)محمد بن أحمد الصالح، *الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع*، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٨٠.

ومن ذلك، على سبيل المثال، مكتب السبيل الذي أنشأه الظاهر بيبرس بجوار مدرسته بالقاهرة وقرر لمن فيه من الأيتام المسلمين الخبز في كل يوم بالإضافة إلى الكسوة في فصلي الشتاء والصيف. كذلك أنشأ السلطان قلاوون مكتباً لتعليم الأيتام ورتب لكل طفل بالمكتب جراية في كل يوم وكسوة في الشتاء وأخرى في الصيف. وقد انتشرت هذه الأوقاف بشكل كبير حتى إنه: "قلما يوجد أمير أو سلطان إلا وأوقف للأيتام مكتباً لتعليمهم والصرف عليهم". كما أنه: "قلما تخلو وثيقة وقف خيري من تخصيص جزء من الريع لتعليم عدد من الأطفال الأيتام، كما أنه قلما يوجد مسجد أو مدرسة وقفية إلا ويوجد بجوارها مكتب لتعليم الأيتام"[١٣].

ورغم بساطة التعليم في الكتاتيب في المرحلة الأولية المهمة من عملية التعليم، فقد كان للأوقاف فيها آثار بعيدة المدى، حيث حرص الواقفون على تحديد كل ما يتعلق بالعملية التعليمية في هذه المرحلة، وقد أوجدت شروط الواقف وحرص الناظر على توفير كل ما تنص عليه الشروط في وثائق الوقف، نوعاً من التقاليد التي أصبح معمولاً بها حتى ولو لم يرد عليها نص صريح في وثيقة الوقف[١٤].

وبلغ من حرص الواقفين على نجاح عملية التعليم بمكاتب الأيتام، أنهم لم يكتفوا ببناء المكاتب وترتيب المؤدبين والعريفين[١٥] بها، كما لم يكتفوا بتوفير الطعام والكساء فضلاً عن راتب شهري للأيتام، بل حرص الواقفون على توفير أدوات

---

(١٣)عبد الله بن سليمان الباحوث، *الوقف والتنمية الاقتصادية*، مرجع سابق، ص ١٥٠

(١٤)محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص٢٦٤.

(١٥) المؤدب: هو من يقوم بالتدريس في المكتب، وكان يسمى في بعض الأحيان الفقيه. العريف: هو من كان يساعد المؤدب في عملية التدريس، وهو يشبه المعيد في المدرسة (أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، مرجع سابق، ص ص ٢٦٤، ٢٦٥).

الكتابة للأيتام. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف الأمير صرغتمش على مكتب للأيتام بالقاهرة "ويصرف ثمن ما يحتاج إليه الأيتام المذكورين من أقلام ومداد وألواح ودوي وحصر يجلسون عليها"(١٦).

(٣,٣) المدارس

ذكر المؤرخ أبو الحسن المسعودي أن التعليم بدأ أول الأمر في المساجد والجوامع وانتقل إلى بيوت المدرسين الخاصة، ليصل في نهاية المطاف إلى تخصيص دور للعلم معدة لهذا الغرض، يؤسسها الولاة والخلفاء ويطلقون عليها اسم بيوت الحكمة وخزائن الحكمة(١٧).

ولما أهلّ القرن الخامس الهجري، كانت قد انتشرت مختلف العلوم على يد العلماء العرب والمسلمين بفضل مؤلفاتهم والكتب المترجمة من اللغات الأخرى، وكان قد بلغ شغف الناس بالعلم مبلغاً عظيماً، فلم تعد دور العلم تفي بحاجة المجتمع الإسلامي في التعليم؛ فكان لابد من ظهور المدارس. وتعد المدرسة التي أنشأها ابن أبي بكر بن فورك الأصبهاني، المتوفى سنة٤٠٦هـ، أقدم مدرسة. ثم انتشرت هذه المدارس الأهلية في مختلف البلاد الإسلامية، وتطورت تطوراً سريعاً حتى إنها، قبل أن ينتصف القرن الخامس الهجري، كانت قد دخلت دوراً جديداً باحتضان الدولة لفكرة تأسيس المدرسة، واتخاذ هذه المدارس مراكز لنشر العلوم والفكر الإسلامي(١٨).

---

(١٦)محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص٢٧٥.

(١٧) الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الجامعة الوقفية الإسلامية، مرجع سابق، ص٩٩.

(١٨)محمود الحاج قاسم محمد، *الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به*، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٤م، ص ص ١٢١- ١٢٢.

ومن الناحية المعمارية، يلاحظ في أغلب المدارس الإسلامية أن جدار القبلة كان هو المحدد الرئيس في تخطيط المبنى، وأن حدودها الداخلية كانت تنظم في شكل مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار، ويتضح تبعاً لذلك أنه كان لكل من تلك المدارس بيتاً للصلاة، وأن هذا البيت كان يتصدر بناءها، وأنه كان أكبر قاعة في المدرسة وأكثرها أهمية واتساعاً، ويلاحظ في بيوت معظم المدارس أنه قد روعي في تخطيطها أن تمتد في موازاة جدار القبلة أكثر من امتدادها في اتجاهه. أما العنصر الآخر، فهو البهو، إذ يلاحظ أن كل مدرسة كان بها في أغلب الأحيان بهو مكشوف فسيح، مربع أو مستطيل أو قريب من ذلك. كما كانت جميع المدارس تحوي بيوتاً للطلاب تتكون من غرف صغيرة حجماً، بعضها من طابق واحد وفي معظمها كانت تتكون من طابقين، وكان عدد هذه الغرف يتناسب مع حجم المدرسة ومع سعة بهوها وبيت صلاتها. وبجانب ذلك نظمت في كل مدرسة قاعات فسيحة، تتناسب سياستها مع الغرض الذي أعدت من أجله كخزانات للكتب، أو قاعات لتذكير الدروس وتناول الطعام وجلوس المدرسين والنظار والمشرفين والكتبة. كما كانت تضم المدارس مبان أخرى كملحقات تصلح كمطبخ أو مخبز أو حمام، وغير ذلك من المنافع العامة للعاملين والطلاب بها[١٩].

كما شهد القرن السادس الهجري، بداية تأسيس المدارس الوقفية، بالهيئة المتكاملة للتعليم، التي تحتوي على جميع الخدمات اللازمة للعملية التعليمية والمكملة لها؛ مثل الخدمات الطبية، ومكتب لرعاية الأيتام، بل وحتى مدافن الطلبة الذين يتوفون، فقد وقفت قطعة أرض في مدينة سبتة في المغرب يدفنون فيها من يتوفى من الطلاب[٢٠].

---

(١٩) سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ص ١٤١- ١٤٢.

(٢٠) فؤاد عبد الله العمر، *إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية*، مرجع سابق، ص ٢٨.

وعن دور الوقف في إنشاء هذه المدارس وقيامها بوظيفتها، يقول أحد الباحثين: "إن المؤكد أن جميع المدارس والمراكز العلمية التي تم إنشاؤها في التاريخ الإسلامي إنما كان يعتمد في تمويلها وإدارتها على مؤسسة الأوقاف، رغم تنوع مهام تلك المدارس من حيث الحجم والتخصص والإمكانات، وقد كان التعليم فيها مجاناً شاملاً لجميع قطاعات المجتمع، فلم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الأمة دون فئة، بل كانت فرص التعليم فيها متوفرة لجميع طبقات المجتمع بفضل عوائد المؤسسة الوقفية التي تديرها وتعمل على تسهيل مهامها وتحقيق رسالتها"[٢١]. وهذا ما يؤكد أن ريع الأوقاف كان هو المصدر المالي الأساس والوحيد لغالبية مدارس ومكاتب الأيتام في العصر المملوكي خاصة، ومن ثم فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها مصر في ذلك العصر، والتي تدين بوجودها إلى إنشاء المدارس واستمرار التعليم بها، إنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف وانتشارها في العصر المملوكي[٢٢].

وقد قامت المدارس بجانب الكتّاب والمسجد، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية في عصرنا الحاضر، وكانت الدراسة فيها قسمين: قسم داخلي للغرباء الذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه، وكانت الدراسة في القسم الداخلي بالمجان أيضاً، يهيأ للطالب فيه الطعام والنوم والمطالعة والعبادة. وقد كانت كل مدرسة تحتوي على مسجد وقاعات للدراسة وغرف لنوم الطلاب ومكتبة ومطبخ وحمام. وكانت بعض المدارس تحتوي فوق ذلك على ملاعب للرياضة البدنية

---

(٢١)عبد الستار إبراهيم الهيتي، *الجامعة الوقفية الإسلامية*، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٢٢)محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص٢٤٢.

في الهواء الطلق[٢٣]. وكان يلحق بالمدارس أطباء للمعالجة، مع حمامات لاستخدام الطلبة، مع مستشفى، ومطاعم ومطابخ لتقديم الطعام، وكانت تعلق ساعة في وسط ساحة المدرسة، ليعرف الطلبة أوقات المحاضرات وأوقات الصلاة خاصة، كما احتوت هذه المدارس على حدائق تنتشر بين أروقتها[٢٤].

ولم تكن تلك المدارس، التي كانت تدار من ريع الوقف وعوائده، مجرد أبنية تقام أو قاعات ترتب أو مجموعة طلاب يتلقون العلوم، وإنما كان أكثرها عبارة عن مؤسسات ومراكز راقية لها أنظمتها وقوانينها وتقاليدها الخاصة، التي تسير على نهجها، ومواردها المالية المستقلة التي تعطيها دعماً كبيراً في أداء وتحقيق رسالتها الثقافية والتربوية[٢٥].

ولم يقتصر دور الوقف على مدارس البنين فقط، بل امتد إلى مدارس البنات، ففي مصر وفي النصف الأول من القرن العشرين انتشرت مدارس البنات الموقوفة في أنحاء البلاد، ولم تقتصر على مدينتي القاهرة والإسكندرية فقط، فكانت مدرسة البنات بالمنصورة في شمال مصر التي كانت تمولها إحدى وقفيات الأميرة فاطمة بنت الخديوي إسماعيل، وكان بالمدرسة أيضاً قسم للبنين، وكانت الوقفية عبارة عن ريع ١٨٤ فدان، وقد نصت الأميرة في وقفيتها على أن: "للتلمذة والتلميذات من كتب دراسية وكراريس وورق أبيض للكتابة، وأقلام من أي نوع كان، ومداد وغير ذلك ... وفي مستوى كساوي لمائة وعشرين تلميذ وتلميذة من ذلك ستون تلميذاً ذكراً وستون تلميذة، بشرط أن يكون المذكورون من أبناء المسلمين الفقراء وتكون كسوة كل واحد

---

(٢٣)مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٢٤)ياسين بن ناصر الخطيب، أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة، مرجع سابق، ص٣٠٦.

(٢٥)عبد الستار إبراهيم الهيتي، *الجامعة الوقفية الإسلامية*، مرجع سابق، ص١٠٠.

من الذكور مشتملة على بنطلون ودكتة وصديري من الجوخ الوسط، وطربوش وقميص ولباس بفته، وجزمة وشراب وياقة ورباط ياقة، وتكون كسوة كل واحدة من التلميذات مشتملة على فستان من الحرير الوسط، وقميص من البفتة الشاش، ولباس من القماش الدبولان، وجزمة وشراب، بشرط ألا تقل كسوة من المائة وعشرين كسوة عن جنيهين اثنين، وأن يكون إعطاء الكساوي للتلامذة والتلميذات في ليلة السابع والعشرين في شهر رمضان من كل سنة"(٢٦). وكذلك كانت مدرسة البنات الخيرية الإسلامية بدرب أبي الحسن بقنا في صعيد مصر، التي كانت من بين الواقفين عليها السيدة بخيتة بنت حمد بن أحمد، حيث أوقفت أربعة منازل لهذا الغرض، واشترطت في نص الوقفية أنه لو تعذر الصرف على مدرسة البنات الخيرية فيكون لصالح مدرسة ولي العهد الإسلامية الخيرية للبنين بقنا(٢٧). ومن النماذج أيضاً في هذا المجال وقفية السيدة دلبرون هانم شكري، حيث أوقفت مساحة ١٢٠ فداناً في مصر ليصرف ريعها على المدرسة التي أنشأتها واشترطت أن تتعلم فيها "البنات اليتيمات الفقيرات من سن سبع إلى اثنتي عشرة سنة، بحيث لا يقل عدد من يقبل منهن عن خمسين بنتاً يتعلمن فيها القراءة والكتابة وحفظ شيء من القرآن، وباقي العلوم الجاري تدريسها بمدارس البنات الأولية، ثم يتعلمن الخياطة بأنواعها وكذلك الطبخ بأنواعه، وصنع الفطورات والحلوى"(٢٨).

---

(٢٦)هند مصطفى علي، الأميرة فاطمة بنت إسماعيل: *الوقف كمشروع إصلاحي*، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢٧)ريهام أحمد خفاجي، "أوقاف النساء: نماذج لمشاركة المرأة في النهضة الحضارية، دراسة للحالة المصرية في النصف الأول من القرن العشرين"، *مجلة أوقاف*، العدد٤، السنة الثالثة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، مايو ٢٠٠٣م، ص ص ٢٥- ٣١.

(٢٨) المرجع السابق، ص ص ٢٢- ٢٣

وفي الحقيقة أنه، في كتاب بهذا الحجم، يصعب الحصر، والحديث بشكل مفصل عن كل المدارس الوقفية في التاريخ الإسلامي وفي البلاد الإسلامية المختلفة، وخصوصاً المراكز العلمية الكبيرة في ذلك الوقت أمثال: مكة المكرمة، والقاهرة، وبغداد، ودمشق، واليمن، وبلاد المغرب العربي، والأندلس، وأصفهان، كما يصعب سرد كثرة المدارس على امتداد التاريخ الإسلامي المزدهر بحركة التعليم في المدارس التي ارتبطت بالوقف، غير أنه من الضروري تقديم أمثلة على تلك المدارس لبيان دور الوقف فيها من خلال دور تلك المدارس ووظائفها، وأيضاً دوره في عمارتها.

(٣,٣,١) المدرسة النظامية

روي عن الرحالة ابن جبير أنه شاهد في بغداد نحو ثلاثين مدرسة كل واحدة منها في قصر وبناية كبيرة أشهرها وأكبرها المدرسة النظامية التي تخرج منها أكابر العلماء وأشهرهم، أمثال الشيرازي، والغزالي، وكمال الدين الأنباري، وغيرهم، وقد كان لتلك المدارس أوقاف وعقارات للإنفاق عليها وعلى العلماء والدارسين فيها[٢٩]. وقد كانت بغداد في ذلك الوقت من المراكز العلمية الكبيرة في الخلافة الإسلامية.

ومن هذه المدارس، كانت المدرسة النظامية، اكتمل بناؤها سنة ٤٥٩هـ، وخصص لها ما يعادل ١,٥ مليون من الفرنكات الذهبية لشراء الكتب والمخطوطات[٣٠]. ومن المرجح أنها أول مدرسة كبيرة في العالم الإسلامي، خصصت لتدريس الفقه الشافعي، وقصدها أهل العلم على اختلاف طبقاتهم من أطراف

---

(٢٩) عبد الستار إبراهيم الهيتي، *الجامعة الوقفية الإسلامية*، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٣٠) محمود الحاج قاسم محمد، *الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به*، مرجع سابق، ص ١٢٢.

البلاد[٣١]. وقد كان الريع الذي تنتجه الأوقاف المخصصة لهذه المدرسة ١٥٠٠٠ دينار في العام، وكان ذلك الريع كافياً لمرتبات الشيوخ ولما يدفع للطلاب، وكان يشمل مئونة طعامهم وملابسهم وفرشهم، وغير ذلك من ضرورات معاشهم[٣٢]. أما عن عمارتها، فقد كانت على طابقين وبها عدد كبير من الحجرات والغرف، وقيل إنها كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والأرجاء، فيها أماكن واسعة للدرس وأخرى للمذاكرة وللترويح عن النفس، يتسع مصلاها للآلاف، وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وغرف للذخائر وأدوات للطباخين، كما كان بها خزانة للكتب اشتملت على ما يفوق الحساب من الكتب التي جمعت من الآفاق[٣٣].

(٣,٣,٢) مدرسة الصابرين

قام الملوك والأمراء في المغرب برصد أموال الوقف لبناء المدارس ومساكن الطلبة، وقد كثرت المدارس في عهد بني مرين خاصة، حيث اهتم ملوك هذه الدولة ببناء المدارس وسكنى الطلبة (الأحياء الجامعية) على طراز مغربي إسلامي أصيل في هندستها وزخرفتها. وقد ازدانت بنقوش بديعة وآيات بينات كتبت بخط مغربي. وقد بلغت في جمالها المعماري مبلغاً يدل على أصالة العمارة المغربية في جودة الذوق والدقة في الصنعة. ولكي تستمر هذه المدارس في أداء دورها الديني والتعليمي أنفقوا عليها أموالاً باهظة من مال الوقف الذي نما وكثر في عهدهم، كما زودوها بالخزانات المليئة بالمصاحف والكتب القيّمة والنادرة، وبلغ حرصهم في المحافظة عليها أنهم كانوا

---

(٣١) كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ص ٧٥-٧٦.

(٣٢) سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣٣) كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ٢١.

ينقشون الموقوفات على رخام كان يبنى في جدرانها حفاظاً على استمرار إنفاقه عليها. ولهذا عرفت الحركة الفكرية والأدبية والعمرانية في عهدهم ازدهاراً أصبح مضرب المثل[٣٤].

ومن النماذج المهمة على المدارس في المغرب؛ مدرسة الصابرين التي أنشأها في مدينة فاس الأمير يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٢هـ، وكانت بجانب دورها الديني والعلمي تقوم بإيواء الطلبة وتقديم الخدمات الضرورية من مال الوقف ليستمروا في طلب العلم[٣٥].

(٣,٣,٣) المدرسة اليوسفية

وهناك كانت أيضاً المدرسة اليوسفية بمراكش جنوب المغرب التي بناها الأمير علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥١٤هـ؛ لتكون مؤسسة دينية وعلمية وثقافية، وقد قامت بهذا الدور خير قيام حيث كان يتعلم بها الطلبة العلوم الشرعية والأدبية واللغوية والفلسفة والطب والهندسة، إلى أن أصبحت في العصر الحديث كلية للغة العربية. وبجانب هاتين المدرستين العظيمتين، كانت هناك مدارس أخرى شيدت من أموال الوقف في مدينة فاس – عاصمة المغرب العلمية – منها: مدرسة العطارين التي بناها أبو سعيد المريني، والمدرسة المصباحية التي أسسها أبو الحسن المريني، والمدرسة البوعانية التي بناها أبو عنان المريني[٣٦].

---

(٣٤)محمد الحجوي، *الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب*، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣٥)محمد الحجوي، *الوقف الخيري في المغرب قديماً وحديثاً وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي*، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣٦)محمد الحجوي، *الوقف الخيري في المغرب قديماً وحديثاً وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي*، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣,٣,٤) المدرسة النورية الكبرى

عرفت بلاد الشام المدارس في وقت مبكر؛ فقد بنى شجاع الدين والدولة صادر بن عبد الله أولى مدارس دمشق للأحناف سنة ٤٩١هـ، كما أنشأ أتابك العسكر أمين الدولة كستكين مدرسة للشافعية سنة ٥١٤هـ سماها الأمينية وهي أول مدرسة أنشئت للشافعية[٣٧]. وقد كثرت المدارس في بلاد الشام مع كثرة الأوقاف حتى عد الدمشقي في كتابه "الدارس في تاريخ المدارس" ما يربو على مائتي مدرسة ما بين دور للقرآن الكريم والحديث الشريف ومدارس لكل مذهب من المذاهب الأربعة[٣٨].

أما عن المدرسة النورية بدمشق، فقد أنشأها نور الدين محمود زنكي سنة ٥٦٣هـ، (الشكل رقم ٣,١)، وهي في حي الخياطين بدمشق، في الجنوب الغربي بالنسبة للجامع الأموي، وتبتعد عنه بما يقرب من نصف ميل[٣٩]. وقد كتب نور الدين وثيقة وقف هذه المدرسة في إبريل سنة ١١٧٢م، وكانت لتدريس المذهبين الحنفي والشافعي. وبجانب الإيوانات الأربعة التي كانت تحتوي عليها المدرسة، كانت تحتوي أيضاً على مساجد للطلبة على طابقين[٤٠]. وكانت مثالاً لهندسة المدارس في عصور الحضارة الإسلامية الأولى. وقد زارها الرحالة ابن جبير في أوائل القرن السابع الهجري، فأعجب بها وكتب عنها: "من أحسن مدارس الدنيا مظهراً مدرسة نور الدين رحمه الله، وهي قصر من القصور الأنيقة، ينصب فيها الماء في شاذورات وسط

---

(٣٧) المرجع السابق، ص ١٦١.

(٣٨) للمزيد من المعلومات حول هذا العدد الكبير من مدارس بلاد الشام، انظر: الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، الجزأين الأول والثاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

(٣٩) سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ص ١٦١- ١٦٢

(٤٠) Hoag, J. D., Islamic Architecture (op. cit.), p.214 .

نهر عظيم، ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر"(٤١).

وكانت المدرسة تتكون من مجموعة من العناصر أهمها؛ الإيوان وكان متسعاً حتى يمكن لأكبر عدد من الطلاب أن يتلقوا دروسهم به، والمسجد، واستراحة خاصة تتكون من حجرتين لراحة المدرسين، ومساكن للطلاب، ومسكن خاص لمن يقوم بمهمة الخدمة داخل المدرسة، ودورة مياه، ومطبخ وقاعة الطعام، ومخزن للبقول ومواد الطعام المختلفة، ومخزن عام للأدوات والأجهزة والمعدات التي كانت تحتاج إليها المدرسة(٤٢).

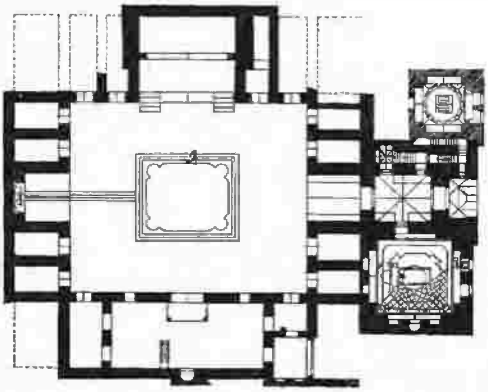

الشكل رقم (٣,١). المدرسة النورية الكبرى بدمشق(٤٣).

وقد كثرت الأوقاف على تلك المدرسة، كما كان مثبتاً على باب المدرسة وهي: جميع الحمام المستجد بسوق القمح، والحمامان المستجدان بالوراقة خارج باب السلامة، والدار المجاورة لهما، والوراقة بعونية الحمى، وجنينة الوزير، والنصف

---

(٤١)مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٤٢)سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٤٣) Hoag, J. D., Islamic Architecture (op. cit.), p.216.

والربع من بستان الجوزة بالأرزة، والأحد عشر حانوتاً خارج باب الجابية، والساحة الملاصقة لهما من الشرق، والتسعة حقول بداريا(٤٤).

(٣,٣,٥) المدرسة الفاضلية

قال عنها المقريزي: "هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة، بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بجوار داره في سنة ٥٨٠هـ، ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة للقراءة، قرأ فيها الإمام أبو محمد الشاطبي ناظم الشاطبية ثم تلميذه القرطبي، ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال إنها كانت مائة ألف مجلد"(٤٥).

(٣,٣,٦) المدرسة الأكزية

بناها أكز حاجب نور الدين محمود، بدمشق، وهي غربي الطيبة والتنكزية وشرقي أم الصالح، وقد رسم على عتبة بابها ما صورته بعد البسملة "وقف هذه المدرسة على أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ الأمير أسد الدين أكز في ست وثمانين وخمسمائة، وتمت عمارتها أيام الملك الناصر صلاح الدين والدنيا، ومنقذ البيت المقدس من أيدي المشركين، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين، الدكان التي شرقيها وقف عليها، والثلث من طاحون اللوان، سنة سبع وثمانين وخمسمائة"(٤٦).

(٣,٣,٧) المدرسة الأفضلية

كان بالقدس الشريف مدارس وقفية كثيرة أوقفها أفراد من مختلف الطبقات، وقد بلغ عدد المدارس في بيت المقدس في القرن ٥-١٢ الهجري حوالي ٧٠ مدرسة

---

(٤٤)مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٤٥)علي باشا مبارك، *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، الجزء السادس*، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٤٦)عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، *الدارس في تاريخ المدارس*، الجزء الأول، ط١، دار بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ص١٢٤.

كلها مدارس موقوفة تقدم التعليم مجاناً من ريع أوقافها بالإضافة إلى مرتبات ومخصصات للطلاب[٤٧]. وبشكل عام، كثرت وانتشرت الأوقاف على النواحي التعليمية في فلسطين؛ مما جعل بيت المقدس من أهم المراكز التعليمية آنذاك.

ومن بين هذه المدارس: المدرسة الأفضلية، وقد وقفها الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن صلاح الدين حوالي سنة ٥٩٠هـ على فقهاء المالكية، وظلت هذه المدرسة قائمة إلى القرن الثاني عشر الهجري. ومنها المدرسة الأشرفية، وتعد أفخم مدارس القدس بناءً، وقفها الملك الأشرف قايتباي بين سنتي ٨٨٥ و ٨٨٧هـ[٤٨].

(٣,٣,٨) المدرسة العادلية الكبرى

شرع في إنشاء هذه المدرسة نور الدين زنكي، بدمشق، وأراد أن تكون على نمط المدرسة النورية، إلا أنه توفي قبل أن يتم بناءها، فأكمل بناءها الملك عيسى عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وكانت هذه المدرسة موقوفة على المذهب الشافعي. وتتشابه في التصميم المعماري مع نمط المدارس المعروف، من حيث احتواؤها على فناء أوسط يحيط به مجموعة من الغرف والحجرات والقاعات التي خصصت لأغراض مختلفة ومتنوعة[٤٩].

(٣,٣,٩) المدرسة الكاملية

أسسها السلطان الملك الكامل نصر الدين محمد عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وكانت في موضع ذكره المقريزي بقوله "بخط بين القصرين من القاهرة في سوق للرقيق وظلت زاهرة حتى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م فتلاشت كما تلاشى غيرها". وعن عمارتها فإنها كانت على طابقين، وتتوزع فيها الغرف على جانبي الفناء الأوسط[٥٠].

---

(٤٧)عبد الرحمن الضحيان، *الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة الإسلامية*، مرجع سابق، ص ٤٩١.

(٤٨)يحيى محمود بن جنيد الساعاتي، *الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي*، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤٩)كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ص ١٠٥- ١٠٦.

(٥٠)كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ص ١١١- ١١٣.

(٣,٣,١٠) المدرسة الصالحية

شيدها الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وكانت أشبه بجامعة كبرى، ذات كليات أربع تختص كل واحدة منها بمذهب من المذاهب الأربعة المعروفة. وفي العصر المملوكي اهتم بشأنها الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الظاهر بيبرس، وأضاف إليها أوقافاً جديدة بنواحي متعددة منها أماكن بالقاهرة والمحلة بالعربية وبالجيزة، ورتب لها أربعة من المدرسين لكل مدرس معيدان وعدة طلبة، وعين له جميع ما يحتاج إليه من خدم وأئمة ومؤذنين وذلك في سنة ٦٧٧هـ[٥١].

وقد مد الواقفون في مصر المدارس المتوسطة والعالية بوجبات يومية ومنح وعطايا، بجانب تقديم الدعم المالي لاستكمال الدراسة والتخرج. كما أن أنظمة هذه المدارس كانت تدمج الإسلاميات مع التعليم الحديث، حيث كانت الإسلاميات والدراسات العربية تقدم جنباً إلى جنب مع العلوم والحساب والدراسات الاجتماعية[٥٢].

(٣,٣,١١) مدرسة السلطان حسن

أنشأها الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، في الفترة من عام ١٣٥٦-١٣٥٩م، (الشكل رقم ٣,٢)، كانت المدرسة للمذاهب الأربعة، وكل مدرسة في إيوان وملحق بها بعض الفراغات الخاصة بالدراسة[٥٣].

وقد قال عنها القلقشندي "وبنيت تحت القلعة، وهي لم يسبق إلى مثلها، ولا سمع في مصر من الأمصار بنظيرها، ويقال إن إيوانها يزيد في القدر على إيوان كسرى بأذرع"[٥٤].

(٥١)سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ص ١٦٦- ١٦٧

(٥٢) Khafagy, R. A., *Beyond Politics: Roles of Islamic Endowments in Resisting Colonialism in Egypt (1882- 1952)*, *Awqaf*, No. 13, Year 7, Kuwait Awqaf Public Foundation, Kuwait, November 2007, p.19

(٥٣) Hoag, J. D., *Islamic Architecture*, Harry N. Abrams, Inc., Publishers, New York, 1977, p.169

(٥٤)أحمد بن علي القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج٣، مرجع سابق، ص٤١٥.

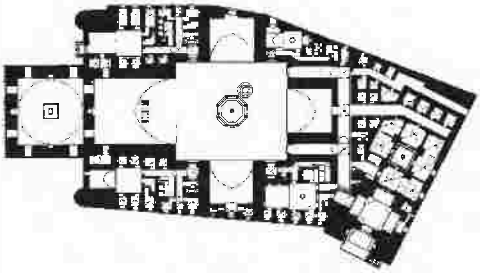

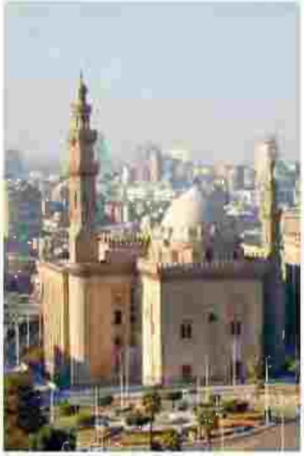

مسقط أفقي(٥٥) المدرسة من الخارج(٥٦)

الشكل رقم (٣,٢). مدرسة السلطان حسن بالقاهرة.

وبدأ البناء في هذه المدرسة سنة ٧٥٧هـ، وذكر الطواشي مقبل الشامي أن السلطان حسن قال في كثرة النفقة التي أنفقت عليها: "لولا أن يقال أن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرفت عليه". كما وصفها المقريزي بقوله: "فلا يعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق واليمن مثلها"(٥٧). ويعد هذا المبنى من أكثر مساجد مصر فخامة وأحسنها شكلاً، وأجمعها لمحاسن العمارة، وأدلها على عظم الهمة وغاية العناية التي بذلت في إنشائه، وهو ذو شكل كثير الأضلاع، يبلغ متوسط طوله ١٥٠م، وعرضه ٦٨م، ومساحته حوالي ٧٩٠٦م٢، وارتفاع مدخله

(٥٥)عبد القادر الريحاوي، *العمارة في الحضارة الإسلامية*، جدة: مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٩٠م.

(٥٦) http://www.sis.gov.eg/Ar/Arts&Culture/Archaeology/islamic/

(٥٧)سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ١٦٨.

٣٧,٧٠م[٥٨]، ورغم عدم انتظام قطعة الأرض التي عليها مبنى المسجد والمدرسة، فقد نجح المعماري في تنظيم عناصر المسقط الأفقي بشكل راعى فيه ترتيب الوظائف والعناصر، وتناسقها مع بعضها بصورة مبتكرة.

(٣,٣,١٢) مدرسة الملك المنصور غياث

هي مدرسة الملك المنصور غياث الدين أبي المظفر أعظم شاه صاحب بنجاله من بلاد الهند، أوقفت على الفقهاء من المذاهب الأربعة، وكان ابتداء عمارتها في رمضان سنة ٨١٣هـ، بمكة المكرمة، والفراغ من ذلك في جمادى الأولى سنة ٨١٤هـ، وفي المحرم من هذه السنة وقفت ودرست بها للمالكية، ولها وقف بالركباني أصيلتان، وأربع رجاب ماء. ومنها مدرسة أبي علي بن أبي زكري، وهو الموضع المعروف بأبي الطاهر العمري المؤذن، بقرب المدرسة المجاهدية، وتاريخ وقفها سنة ٦٣٥هـ ..."[٥٩].

(٣,٣,١٣) مدرسة ميرزا ألغ بك

كانت مدرسة ميرزا ألغ بك من أشهر المدارس في سمرقند، (الشكل رقم ٣,٣)، وقد بنيت وأوقفت في الفترة من ٨١٩- ٨٢٢هـ/ ١٤١٧- ١٤٢٠م، وهي على نفس نمط المدارس المكونة من أربعة إيوانات، بجانب فراغات أخرى للتعليم، وكلها تحيط بفناء داخلي مكشوف[٦٠].

---

(٥٨)محمود أحمد، *دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة*، القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٨م، ص ص ٣٦- ٣٧.

(٥٩)تقي الدين أبو الطيب أحمد بن علي الحسيني الفاسي، تحقيق مصطفى محمد حسين، *الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة*، ط١، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٧م، ص ص ١٢١، ١٢٢.

(٦٠) J. D., Hoag, Islamic Architecture (op. cit.), p.267.

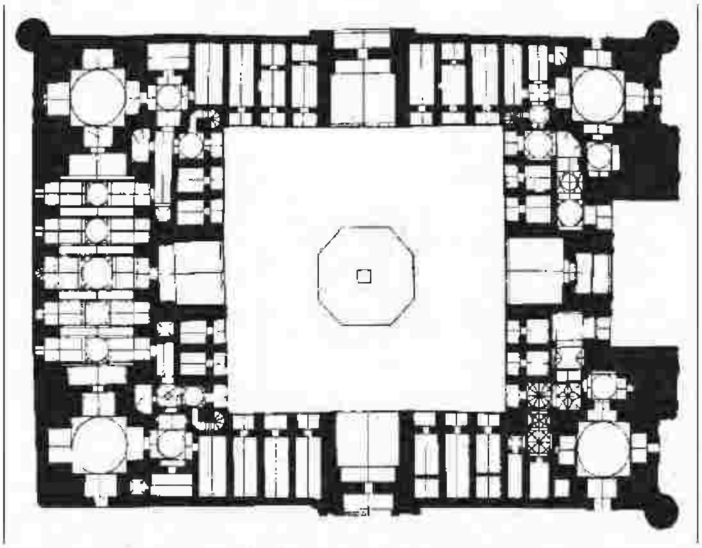

الشكل رقم (٣,٣). مدرسة ميرزا ألغ بك بسمرقند[٦١].

(٣,٣,١٤) مدرسة قايتباي

أنشأها وأوقفها السلطان قايتباي في الفترة ما بين ٨٧٦- ٨٧٨هـ/ ١٤٧٢-١٤٧٤م، وهي عبارة عن أربعة إيوانات مع أماكن لتعليم الطلبة، وسبيل أعلاه كتّاب، كما احتوت المجموعة على مقبرة للسلطان. وتتحد هذه العناصر في وحدة معمارية واحدة تؤكدها من الخارج المئذنة والقبة[٦٢]، (الشكل رقم ٣,٤).

(٦١) Ibid, p.266 .

(٦٢) J. D., Hoag, Islamic Architecture (op. cit.), p.173 .

الشكل رقم (٣,٤). مدرسة قايتباي بالقاهرة[٦٣].

(٣,٣,١٥) المدرسة المستنصرية

بناها المستنصر بالله أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي، ببغداد، (الشكل رقم ٣,٥)، وكانت تشتمل على دار للقرآن الكريم ودار للحديث بجانب أنها كانت مخصصة لتدريس المذاهب الأربعة[٦٤]. وكانت في الجانب الشرقي من بغداد على ضفة نهر دجلة، مما يلي دار الخلافة، آخر سوق الثلاثاء، وظلت هذه المدرسة عامرة بطلابها وأساتذتها حتى عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، ثم انتابتها المحن فأصبحت حصناً، ثم ثكنة، ثم خاناً، فداراً للمكوس، فمخزناً لملابس الجنود فمسكناً لكتيبة من الجنود، ثم مخزناً للآثار والمخطوطات العربية[٦٥].

---

(٦٣) S. B., Fletcher's, A History of Architecture, Nineteenth Edition, Butterworths, London, 1987, p. 371.

(٦٤) J. D., Hoag, Islamic Architecture (op. cit.), p.219.

(٦٥) كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ٢١.

الفناء الداخلي للمدرسة(٦٦)

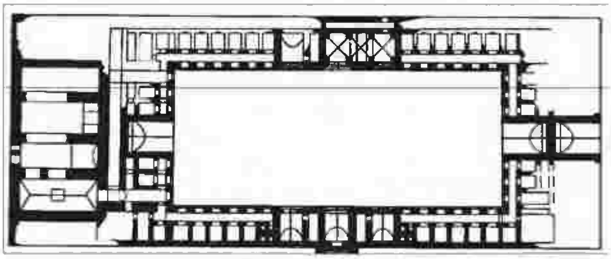

المسقط الأفقي(٦٧)

الشكل رقم (٣,٥). المدرسة المستنصرية ببغداد.

أما عمارة المدرسة(٦٨)، فهي تتألف من فناء أوسط مكشوف بأبعاد ٦١,٥م طولاً و٢٦م عرضاً، يحيط به أربعة إيوانات، كل إيوان يستخدم كقاعة للتدريس لأحد المذاهب الأربعة، بجانب استخدام إيوان القبلة للصلاة(٦٩)، ويعمل الفناء الداخلي على إدخال الضوء والهواء إلى سائر المرافق المحيطة به. وبجانب الإيوانات الأربعة

---

(٦٦) J. D., Hoag, Islamic Architecture (op. cit.), p.220.

(٦٧) صالح لمعي مصطفى، *التراث المعماري الإسلامي في مصر*، مرجع سابق.

(٦٨) عن عمارة المدرسة ومرافقها المختلفة (أنظر بتوسع: كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، نشوء *المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ص ٧٩- ١٠٠).

(٦٩) J. D., Hoag, Islamic Architecture (op. cit.), p.219.

والدهليز الذي كانت تحتويه المدرسة، كانت توجد مجموعة من الغرف الصغيرة والحجرات (كانت في الغالب سكن للطلاب والمعلمين) والقاعات[٧٠]. وقد كانت المدرسة على درجة عالية من الفن المعماري، وبشكل خاص في داخل المدرسة، كما يظهر في الفناء الداخلي لها.

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" في حوادث سنة ٦٣١هـ/١٢٤٣م: "فيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يبن مدرسة قبلها مثلها. ووقفت على المذاهب الأربعة[٧١]، من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بالطب، ومكتب للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد ..."[٧٢]. وقد نالت تلك المدرسة مقداراً كبيراً من العناية والرعاية من قبل الخليفة العباسي، لتظهر نموذج حرص الواقف على جعلها ذات أبعاد حضارية يصعب تطبيق نموذجها على الكليات والجامعات الحديثة، فهي لم تكن مجرد مبنى بل تعدت ذلك إلى تحقيق الراحة والرفاهية، وقبل ذلك العمق التعليمي للملتحقين بها[٧٣]. فقد كانت تشتمل على ما يمكن أن نسميه بالأقسام العلمية

---

(٧٠) كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٧١) يقال أنها أول مدرسة جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة؛ الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي (انظر: كامل حيدر، "العمارة العربية الإسلامية"، *نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي*، ط١، مرجع سابق، ص ٧٤).

(٧٢) مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٧٣) يحيى محمود بن جنيد الساعاتي، *الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي*، مرجع سابق، ص ٢٤.

المتخصصة، بمعنى أجزاء خصصت لعدد من الفروع العلمية المهمة، مثل دراسة القرآن، والمذاهب الأربعة، والطب، وغيرها[٧٤].

كما كان في هذه المدرسة طبيب يقوم بفحص المرضى ووصف الأدوية من الصيدليات الخاصة في المدرسة[٧٥]، ويبدو أن المستنصر بالله حين اشترط وجود الطبيب في المدرسة، إنما فعل ذلك بعد أن رأى أن أهل الذمة قد استولوا على مهنة الطب واستفحل أمرهم وأخذوا يفسدون هذا العلم بقصد الثراء، ويمكن الاستدلال على ذلك من المذكرة التفصيلية التي رفعها ابن فضلان مدرس المستنصرية إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي، ومما جاء فيها قوله "... ومنهم الأطباء أصحاب المكاسب الجزيلة بترددهم إلى منازل الأعيان وأرباب الأحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة. والناس يتحملون فيما يعطون الطبيب زائداً على القدر المستحق، وهو أمر من قبيل المروءات فلا ينفكون عن الخلع السنية، والدنانير الكثيرة، والطرف في المواسم، والفصول مع ما يخطئون في المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان. ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر من مسائل حنين، وخمس مسائل من تذكرة الكحالين، وقد تقمص، ولبس العمامة الكبيرة، وجلس على مقاعد الأسواق، والشوارع على دكة حتى يعرف وبين يديه المكحلة والملحدان يؤذي هذا بدنه ويجرب على ذا في عينيه فيفتك من أول النهار إلى آخره، ويمضي آخر النهار ومكحلته مملوءة قراضة؛ فإذا عرف بقعوده على الدكة، وصار له الزبون قام يدور ويدخل الدور"[٧٦].

---

(٧٤)سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٧٥)محمود الحاج قاسم محمد، *الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به*، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٧٦)سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

(٣,٣,١٦) مدرسة الساقزلي

أنشأها أحمد بن إبراهيم الساقزلي أحد تجار آسيا الوسطى عام ١١٢٥هـ ملاصقة للسور السلطاني شمال الحرم النبوي الشريف بالقرب من دار الضيافة. وقد اشترى الواقف جملة عقارات وبيوتاً وجعلها في مبنى واحد مكون من خمس عشرة خلوة، خصص منها واحدة للمدرس، وأخرى لحفظ الكتب الموقوفة، وثالثة للمهمات، ورابعة للبواب، وخامسة للملازم، والعشرة الباقية لسكنى الطلبة. يضاف إلى ذلك محلين للتدريس، وستة دكاكين، وبئر وبركة، وحنفية، وحمام، وسبيل عند باب المدرسة، وفي الطابق العلوي ثلاثة مجالس. وقد أوقف الواقف على المدرسة الكثير من العقارات أهمها: كامل حوش عميرة، وحديقة زمزم الكائنة ببستان النقا، والبيت المقابل للمدرسة المخصص سكناً للمدرس، وبيته الذي أنشأه في حوش بابين. ونصت الوقفية على أن يكون المدرس عالماً فاضلاً حنفياً ملماً بسائر العلوم المعقولات والمنقولات، واشترط أن يكون الطلبة من الأروام حنفاء المذهب، عزاباً لا يشربون الدخان وليسوا فساقاً، وأن يختاروا من بينهم شيخاً عليهم يجبي غلة الوقف، وأن يكون أهل المدرسة والمدرس ناظرين على الشيخ يتولون محاسبته وإخراجه إن حصلت منه خيانة. وخصص الواقف ربع ربع حديقة زمزم للناظر، وربع للمدرس، والنصف الباقي للطلبة والبواب والشيخ. كما وزع بيوت حوش عميرة لسكنى عتقائه. كما خصص من غلة الوقف لشراء ستة أرادب حنطة، وثلاثة أرادب شربة، وأن يطبخ لهم يومي الاثنين والخميس وجبة من الأرز. وخصص للمدرس والشيخ والناظر والطلاب وغيرهم راتباً سنوياً[٧٧].

(٧٧)محمد بن عبد الرحمن الحصين، "دور الوقف في تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها في المدينة المنورة"، *مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط*، م٩، الرياض، ١٩٩٧م، ص ص ٧٣- ٨٣

(٣,٣,١٧) مدرسة بشير أغا

أسس هذه المدرسة بشير أغا عام ١١٥١هـ، في الركن الجنوبي الغربي للحرم النبوي الشريف، ملاصقة لباب السلام، ويتكون المبنى من طابقين يضمان عشرين غرفة. وقد اشترط الواقف أن يكون المدرس من ديار الروم، المفسر المحدث الفقيه، على أن يقوم بالتدريس خمسة أيام؛ يوم للتفسير، وآخر للحديث، وثلاثة أيام للفقه. كما اشترط أن يسكن في الغرف الطلاب الأروام الطهار غير المتزوجين، وخصص لكل طالب ثلاثة جنيهات سنوياً إضافة إلى المخصصات الشهرية. وعين الواقف شيخ الحرم النبوي كائناً من كان على نظارة المدرسة والسبيل والدوارق، ويتصرف مقابل ذلك بعشرة جنيهات، ويعطى أربعين جنيهاً لسقات العشرة دوارق المرتبة بالحرم النبوي الشريف. كما اشترط على الطلاب العشرين الساكنين بالدار قراءة القرآن كل ليلة جمعة في العشرين جزءاً التي وضعها الواقف، ويهدون ثوابها لروحه. كما تضمنت الوقفية مقدار ما يصرف من غلة الوقف على المواد التموينية من رز وسمن وعسل، وغيرها من مستلزمات لطبخ وجبة كل ليلة جمعة من مطبخ الدار. كما اشتملت على طريقة صرف المبالغ المعينة للمدرس والطلاب والخدم والمواد التموينية، والدوارق بحيث تسلم لأمناء الصرة، وهم بدورهم يسلمونها لمدرس دار الحديث بمعرفة قاضي المدينة وشيخ الحرم النبوي الشريف. كما تشير وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة إلى أنه كانت هناك أوقاف للمدرسة، فقد احتيج عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م لمبلغ خمسين ألف قرش لترميم المدرسة وكان رد محمد علي آنذاك أن تتم مخاطبة إستنابول بهذا الشأن[٧٨].

---

(٧٨)محمد بن عبد الرحمن الحصين، "دور الوقف في تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها في المدينة المنورة"، *مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط*، م٩، الرياض، ١٩٩٧م، ص ص ٧٣- ٨٣.

(٣,٣,١٨) المدرسة الحميدية

أنشأها السلطان عبد الحميد الأول، ولا يعرف بالتحديد تاريخ إنشائها، لكنه يقع في فترة حكم السلطان عبد الحميد ما بين عامي ١١٨٧- ١٢٠٣هـ. تقع هذه المدرسة في آخر حارة الساحة من جهة الحرم النبوي الشريف، أمام زقاق كومة حشيفة، عند حراة الخرازة. يتكون مبنى المدرسة من فناء واسع به أشجار تحيط به ما يقارب عشرين غرفة. وللمدرسة مدخلان أحدهما هو الرئيس يقع تحت السقيفة التي على طريق الساحة، والآخر يقع على طريق متفرع من طريق الساحة، وليس للمدرسة أي واجهة على هذين الطريقين[٧٩].

(٣,٣,١٩) المدرسة المحمودية

جددها السلطان محمود خان عام ١٢٣٧هـ، بالمدينة المنورة، حيث كانت تحتل مكان المدرسة الأشرفية التي أنشأها الأشرف قايتباي عام ٨٨٨هـ، ثم تحول المبنى إلى محكمة وبعد فترة تهدم. وجددها السلطان محمود وأضاف لها رباط البساطية، وبنى بجوارها داراً للناظر، ثم جددها السلطان عبد العزيز عام ١٢٨٧هـ. تقع المدرسة ملاصقة للحرم النبوي الشريف بجوار باب السلام، ولها نوافذ تفتح على الحرم. وقد وصف علي بن موسى هذه المدرسة بأنها من أعظم مدارس المدينة المنورة، وأن بها نحو الأربعين غرفة، إضافة إلى سكن المدرس، وحديقة صغيرة في فناء متوسط، وميضأة في الجهة الغربية. وقد أوقف على المدرسة العديد من الأوقاف؛ منها وقف نصف أبنية، وأنقاض البيت الكائن بحوش التاجوري العائد إلى محمد أمين مصطفى عام ١٣١١هـ، على ساكني المدرسة بالسوية. ونصت الوقفية على احتواء المدرسة على ٢٣ غرفة،

---

(٧٩) الحصين، محمد بن عبد الرحمن، "دور الوقف في تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها في المدينة المنورة"، *مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط*، م٩، الرياض، ١٩٩٧م، ص ص ٧٣- ٨٣.

ومحل للتدريس، وآخر للكتب، إضافة إلى المرافق، كما نصت الوقفية على أن يكون النظر لمدرس المدرسة ويتقاضي عشر غلة الوقف(٨٠).

(٣,٣,٢٠) مدارس علي باشا

بنى أهل البر في تونس مدارس كثيرة انتشرت في كامل البلاد، حتى في الأماكن النائية، وأوقفوا عليها أوقافاً عديدة. وممن بنوا المدارس علي باشا، فكانت له مدارس كثيرة أوقف عليها أملاكاً شاسعة، وكان يشرف على المدرسة شيخ، وكثيراً ما يكون من ذوي المكانة العلمية عند وجود المدرسة في العاصمة أو في إحدى المدن الكبرى(٨١).

(٣,٣,٢١) مدرسة خسرو بك

أنشأ خسرو بك مدرسة في سراييفو من أموال الوقف، وأوقف عليها وقفيات عديدة. وقد كانت هذه المدرسة أشهر مدرسة في البوسنة، ومن أشهر مدارس البلقان، وتعد من المدارس النادرة التي استمرت في أداء دورها طيلة العهد العثماني ١٥٣٧- ١٨٧٨م والعهد النمساوي/المجري ١٨٧٨- ١٩١٨م والعهد اليوغسلافي ١٩١٨- ١٩٩١م وصولاً إلى اليوم. وقد أوقف خسرو بك من أجل هذه المدرسة ٤٠٠ درهم فضي أو أقجة لبناء المدرسة التي أرادها أن تكون على نمط "مدارس الوزراء والأمراء" في إستنبول. وقد أشار في الوقفية إلى ضرورة بناء ١٢ غرفة تخصص لسكن الطلبة وخصوصاً من هم من خارج سراييفو، مع اشتراطه ألا يكونوا من "الفواسق من الجهلة". كما حدد المواد التي تدّرس في المدرسة وهي؛ التفسير، والحديث، والأحكام، والأصول، والمعاني، والبيان، والكلام، كما أنه ترك الباب مفتوحاً للمستقبل لإضافة مواد أخرى "حسب ما يقتضيه العرف والمقام". وفيما يتعلق بالمدرس

(٨٠)محمد بن عبد الرحمن الحصين، "دور الوقف في تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها في المدينة المنورة"، *مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط*، م٩، الرياض، ١٩٩٧م، ص ص ٧٣- ٨٣.

(٨١)أحمد قاسم، "الوقف في تونس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، بحث منشور في *كتاب الوقف في العالم الإسلامي*، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥م، ص ٣٧.

الذي يتولى تدريس هذه المواد فقد اشترط الواقف أن يكون "جامعاً للفروع والأصول، حاذقاً للمعقول والمنقول" وأن يكون عالماً حتى "يفتي الأنام فيما يستفتونه من المسائل الشرعية بأقوى المذاهب والأقوال". كما أكد الواقف على أهمية حضور الطلبة والأستاذ، حيث يورد في الشروط "لا يفوت دروسهم إلا بعذر شرعي ولا هم يفوتونه إلا بوجه مرعي فيه أيام التعطيل"[٨٢].

(٣,٤) المدارس الطبية

بجانب ما كانت عليه البيمارستانات من بيئة تعليمية صالحة (كما سيأتي بيانه في الفصل السادس من هذا الكتاب) لتعليم الطلاب أصول الطب وبشكل تطبيقي على المرضى[٨٣]، فقد كانت هناك مدارس الطب الخاصة التي أنشأها ووقفها الواقفون. فقد وقف مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م داره التي بدمشق عند الصاغة العتيقة شرق سوق المناخليين، وجعلها مدرسة تتابع فيها من بعده دراسة الطب، ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن ينفق من ريعها في مصالح المدرسة، وفي رواتب المدرس ورواتب المشتغلين بها، وأوصى بأن يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحبي، الذي استمر بها عدة سنين[٨٤]، وكانت هذه المدرسة تسمى الدخوارية، كما كان هناك ثلاث مدارس أخرى هي: الدنيسرية، والربيعية، واللبودية[٨٥].

---

(٨٢) محمد الأرناؤوط، *وقفية مدرسة الغازي خسرو بك في سراييفو*، مرجع سابق، ص ص١١٣- ١١٦.

(٨٣) سيأتي توضيح دور البيمارستانات كمراكز تعليم طبية في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٨٤) أحمد عوف محمد عبد الرحمن، *الأوقاف والرعاية الصحية*، مرجع سابق، ص١٤١.

(٨٥) كردعلي، محمد، خطط الشام، ج٥، مرجع سابق، ص ص ١٠٠- ١٠١.

وفي عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م كان علم الطب من العلوم التي تدرس بالمستنصرية في بناية خاصة مقابل الباب الرئيسي للمدرسة المستنصرية[٨٦].

كما كان لا يسمح للأطباء بممارسة مهنة الطب إلا بعد أن يؤدي الطبيب امتحاناً أمام كبير أطباء الدولة[٨٧]، وكان هذا الامتحان في صورة دراسة علمية في موضوع طبي، وقد تكون هذه الدراسة من تأليفه أو من تأليف أحد كبار علماء الطب ولكن عليها دراسات وشروح، فيمتحنه فيها، فإن أحسن الإجابة أجازه كبير الأطباء بما يسمح له بمزاولة مهنة الطب. ويروى أنه قد حدث سنة ٣١٩هـ في أيام الخليفة المقتدر خطأ في علاج رجل فمات، فأمر الخليفة أن يمتحن جميع الأطباء في بغداد من جديد[٨٨]، وكان عددهم في بغداد وحدها ثمانمائة طبيب ونيفاً وستين طبيباً، هذا عدا من لم يمتحنوا من مشاهير الأطباء، وعدا أطباء الخليفة والوزراء والأمراء[٨٩].

ولم تكن هناك مدة محددة للدراسة في المدارس الطبية؛ لأنه لم يكن هناك امتحان ونجاح يحدد انتقال الطالب من سنة إلى أخرى، وإنما كانت فترات تقديرية لإقامة الطالب في المدرسة، يتمكن الطالب العادي خلالها من أن يحصّل قدراً لا بأس به من العلم في الفرع الذي يختص به وينال في نهايتها الإجازة العلمية التي يرغب فيها من الأساتذة الذين يدرس عندهم. وكان الطالب إذا طلب الإجازة تقدم لأستاذه برسالة من تأليفه أو من تأليف أحد الأطباء المتقدمين أو المعاصرين فيمتحنه فيها، وبما يتعلق بالطب بصورة عامة والفرع الممتحن فيه الطالب بصفة خاصة، فإذا ما اقتنع

---

(٨٦) أحمد عوف محمد عبد الرحمن، *الأوقاف والرعاية الصحية*، مرجع سابق، ص١٤١.

(٨٧) يشبه هذا النظام ما هو موجود الآن في الكثير من البلاد المتقدمة، والتي لا يتوقف التأهيل المهني لممارسة المهنة على الطب فقط من خلال الامتحانات اللازمة، بل أيضاً في بعض المهن الأخرى مثل مهنة الهندسة.

(٨٨) أحمد عوف محمد عبد الرحمن، *الأوقاف والرعاية الصحية*، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٨٩) سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ٢٢١.

الأستاذ بأجوبته ومقدرته على ممارسة المهنة أخذ منه عهد أبقراط في الطب وأذن له بالعمل بإعطائه الإجازة، التي هي أشبه ما تكون بشهادة البكالوريوس في وقتنا الحاضر[٩٠].

(٣,٥) مدارس الفنون الجميلة

للوقف دور بارز في مجال الفنون الجميلة، ففي مصر، على سبيل المثال، ساهم الوقف في إنشاء المدارس المتخصصة في تعليم أصول الفنون الجميلة، التي نشأت مواكبة لحركة نشأة المدارس في القرن العشرين، وهو ما حدث بالفعل في عام ١٩٠٨م عندما أنشأ الأمير يوسف كمال – أحد أعضاء الأسرة المالكة في مصر قبل ثورة يوليو – أول مدرسة للفنون الجميلة في درب الجماميز بالقاهرة ووقفها، وأوقف عليها مساحة قدرها ١٢٧ فداناً من الأراضي الزراعية الواقعة بزمام مديرية المنيا بصعيد مصر، وأوقف عليها أيضاً عدة عقارات بمدينة الإسكندرية، وقد نص في حجة وقفه على أن يصرف ريعها "فيما يلزم لتدريس وتعليم مائة وخمسين تلميذاً، يكون الثلثان منهم للمصريين، والثلث من الأجانب، بدون التفات إلى الجنسية والدين، ويكون تعليمهم مجاناً – بغير استثناء – العلوم العصرية التى منها الخطوط العربية، والنقوش البارزة، وأشغال العمارات، والتصميمات والرسومات وغير ذلك"، وقد أجازت محكمة مصر الشرعية الكبرى حجة وقف الأمير بما تضمنته من تلك الشروط الفنية، وذلك بتاريخ ١٤ جمادى أولى ١٣٢٧هـ – ٣ يونيو ١٩٠٩م. الأمر الذي يستفاد منه عدم وجود مانع شرعي للوقف على مثل تلك الأغراض – الفنون الجميلة وتعلمها – طبقاً لما ورد

(٩٠) محمود الحاج قاسم محمد، *الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به*، مرجع سابق، ص ص ١٢٥- ١٢٨.

بنص حجة الوقف بما في ذلك اشتراطه "أن يقوم بالتدريس مدرسون من فرنسا وإيطاليا، وأن تمنح ميدالية برونزية لكل من الطالب الأول والثاني من الناجحين بالفرقة النهائية، مكتوب على أحد وجهي الميدالية (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وعلى الوجه الآخر (تذكار من الأمير يوسف كمال). ثم عاد الأمير وغيّر من شروط وقفيته في سنة ١٩٢٧م، وجعل ريعها مخصصاً لإرسال بعثات علمية من المائة وخمسين طالباً ليتعلموا الفنون الجميلة في جامعات فرنسا وإيطاليا[٩١].

(٣,٦) التعليم المهني

اهتم الواقفون بالتعليم المهني بنفس درجة اهتمامهم بالتعليم العام، حيث كان منهم من أوقف على الحِرَف وتعلم الصناعات المختلفة، ولم يكن للتعليم المهني في أغلب الحالات مبان خاصة، بل كان يتم مباشرة في مواقع ممارسة الحرف والصناعات المختلفة.

ومن الأمثلة على ذلك، كانت مدرسة التعليم المهني في المجمع الرشيدي بمدينة إيران، فقد أوصى رشيد الدين الهمداني المتولي على الوقف بأن يسمح للطلبة الموجودين في الربع باختيار ما يستهوي كلاً منهم من حِرفة أو صناعة داخل الربع أو المؤسسات الأخرى الزراعية والمعامل وغيرها، وأن يوفر لهم الإمكانات اللازمة. وقد جاء في نص وثيقة الوقف "ليمض أبناء هؤلاء قدماً في تعلم صناعة أو مهنة توافق ظروفهم كالخط أو الخطابة أو الرسم أو الصياغة أو البستنة، أو الزراعة أو العمارة

(٩١) إبراهيم البيومي غانم، *دور الأوقاف في خدمة الآثار والفنون الجميلة*، *الإسلام وقضايا العصر*، (www.islamonline.net).

وسائر الحرف الأخرى، وذلك بإشراف المتولي وفيما يراه صالحاً، ليتعلموا مهنة معينة ويكتسبوا لقمة العيش من خلالها والأفضل المضي في حرفة والديهم قدر الإمكان"[٩٢].

(٣,٧) الجامعات

مع تطور حضارة المسلمين وتنامي علومهم التطبيقية تطلب الأمر نمو المؤسسات التعليمية الوقفية، فتحولت المدارس إلى جامعات، خصوصاً في مراكز الحضارة الإسلامية في دمشق، وبغداد، ومصر، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبلاد المغرب العربي.

وقد تطورت المدارس التعليمية في بعض المساجد الكبيرة إلى ما يشبه الجامعة حالياً، مثل الأزهر الشريف، وجامع القرويين وغيرهما. أما الجامعة بمفهومها المعاصر؛ فقد اختلف المؤرخون حول أول مدرسة أخذت طابع الجامعة؛ فمنهم من رجح المدرسة النظامية في بغداد التي أنشئت سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م وكان مدرسها الأول أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، ومنهم من رجح المدرسة المستنصرية التي أنشئت سنة ٦٣١هـ، وكانت تدرس بها العلوم الشرعية والطبيعية. ثم توالت بعد ذلك المدارس التي كانت على غرار الجامعات الحالية، فأنشأ نور الدين محمود زنكي سنة ٥٦٣هـ المدرسة النورية في الشام، كما أنشأ الملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٦٦هـ المدرسة الناصرية، وفي سنة ٦٤١هـ أقام الملك الصالح نجم الدين أيوب المدرسة الصالحية الوقفية وهي أول مدرسة تدرس المذاهب الأربعة، كما شيد المنصور بن

---

(٩٢)حسين اميدياني، *مجمع الربع الرشيدي في مدينة تبريز تجربة مؤسسية رائدة في الوقف*، مرجع سابق، ص٧٠.

قلاوون سنة ٦٨٣هـ المدرسة الناصرية التي كانت تدرس العلوم التطبيقية والطبية وأوقف عليها الكثير من الحوانيت والأطيان[٩٣].

(٣,٧,١) الأزهر كجامعة علمية

إن الأزهر، وإن كان قد بدأ كغيره من المساجد لإقامة الشعائر الدينية، لم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيه طلاب العلم مختلف العلوم والفنون. ففي صفر سنة ٣٦٥هـ (أكتوبر ٩٧٥م) في أواخر عهد المعز لدين الله، جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر، وقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت (فقه الشيعة) وهو المسمى بكتاب الاختصار، في جمع حافل من العلماء والكبراء، وأثبتت أسماء الحاضرين، فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر[٩٤]. وفي سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م أشار يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بالله الفاطمي بتحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية، فوافق الخليفة[٩٥]، حيث استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل يوم جمعة من بعد صلاة الجمعة حتى العصر، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً ورئيسهم، ومنظم حلقتهم الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق، وكان جل حديثهم في الفقه وما إليه، ورتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية حسنة، وأنشأ لهم داراً للسكنى بجوار الأزهر، كما أجرى عليهم ابن كلس أرزاقاً من ماله الخاص. وكان هؤلاء الفقهاء أول فوج من الأساتذة الرسميين

---

(٩٣)سامي محمد الصلاحات، *دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة، دولة ماليزيا المسلمة نموذجاً*، مرجع سابق، ص ص ٧- ٨.

(٩٤)محمد عبد الله عنان، *تاريخ الجامع الأزهر*، ط٢، القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨م، ص ٤١.

(٩٥)سعيد إسماعيل علي، *الأزهر على مسرح السياسة المصرية*، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٤م، ص ٣١.

الذين عينوا بالجامع الأزهر، وبهذا يكون الأزهر قد بدأ العهد الجديد كمعهد علمي للدراسة المنظمة(٩٦).

ولم يقف النشاط العلمي في الأزهر عند حد العلوم الدينية، بل اطرد تقدمه، وتنوعت موضوعاته، وكثرت فنونه وعلومه، حتى أصبح جامعة بمعنى الكلمة، بل أصبح مقصداً للعلماء المتبحرين والفلاسفة الممتازين؛ فكان من علمائه رجال القانون الشرعي، وكان منهم المؤرخون، والفلكيون، والنحويون(٩٧).

وقد أسهم الأزهر في العهد الفاطمي بنصيب كبير في الحركة العلمية حيث كانت تعقد فيه حلقات لدراسة الدين، واللغة والأدب، والنحو، والمنطق، والفلك. ولما قامت الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية أهمل شأن الأزهر وشجع الأمويون علماء الأزهر على تركه والتدريس في المدارس التي أسسوها كما أبطلت صلاة الجمعة فيه. لكن عاد الأزهر للانتعاش في العهد المملوكي، وعادت إليه مكانته العلمية. وقد أصاب الأزهر في العهد العثماني ما أصاب مصر كلها وغيرها من أقطار العالم العربي من ركود فكري وحضاري؛ إذ إن العثمانيين عمدوا إلى نقل أمهات الكتب الفريدة في مختلف العلوم إلى الأستانة، لكن على الرغم من ذلك فقد ظلت للأزهر مكانته في علوم الدين واللغة(٩٨).

فهو مسجد تقام في أبهائه حلقات للدراسة، تحيط به من جهاته المتعددة غرف لسكن الطلاب تسمى بالأروقة، يسكنها طلاب من كل بلد، فرواق للشاميين، ورواق للمغاربة، ورواق للأتراك، ورواق للسودانيين، وهكذا. وقد ظل طلاب الأزهر

---

(٩٦)محمد عبد الله عنان، *تاريخ الجامع الأزهر*، مرجع سابق، ص ص ٤٣- ٤٤.

(٩٧)سعيد إسماعيل علي، *معاهد التعليم الإسلامي*، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٩٨)شوقي عطاالله الجمل، *الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص ص ١٣- ١٦.

فترات كبيرة يأخذون راتباً شهرياً مع دراستهم المجانية من ريع الأوقاف التي أوقفت على طلاب العلم بالأزهر(٩٩).

وقد كانت الأروقة تسمى بأسماء بلاد الطلبة الذين يدرسون فيه، مثل رواق المغاربة، حيث نشأ في الغالب في وقت مبكر منذ منتصف القرن الثامن الهجري، أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وكان يقوم أساساً على أوقاف المغاربة، وقد دعت إلى إنشائه حاجة الأسر المغربية الكثيرة التي كانت تعيش في مصر وتتردد عليها إلى تخصيص جناح للطلبة والمشايخ الذين يهتمون بدراسة المذهب المالكي (وهو المذهب الشائع لدى أهل المغرب). وكان هذا الرواق من أكثر أروقة الأزهر نشاطاً، كما كان من أكثرها ثراءً، بسبب كثرة الأوقاف التي كانت موقوفة عليه من جانب التجار المغاربة المقيمين في مصر، وفي مكتبة هذا الرواق كان ابن خلدون يقضي معظم وقته. وقد اهتم الملك الأشرف قايتباي بتجديد الرواق سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وقد احتفظت الدرابزينات الخشبية التي تفصل الرواق عن صحن الأزهر بنقوشها الأولى(١٠٠).

وقد قدم الوقف دعماً لجامعة الأزهر في محورين مهمين هما: دعم الأساتذة، والطلاب، بجانب دعم تطور العملية التعليمية(١٠١). ومن أشهر الأوقاف على التعليم في الأزهر أوقاف الخبز، وهي الأوقاف التي خصصت أجزاء منها تحديداً لصالح شراء وتوزيع الخبز على طلاب الأزهر، ومثال ذلك وقفية للسيدة جميلة هانم ووالدتها،

---

(٩٩)مصطفى السباعي، *من روائع حضارتنا*، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(١٠٠)عبد الهادي التازي، "توظيف الوقف لخدمة السياسة الخارجية في المغرب"، بحث منشور في كتاب *الوقف في العالم الإسلامي*، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥م، ص ص ٨١- ٨٢.

(١٠١) R. A., Khafagy, Beyond Politics: Roles of Islamic Endowments in Resisting Colonialism in Egypt (1882- 1952), (op. cit.), p.21.

ووقفية محمد بيك حمدي رئيس عموم تلغرافات شرق السودان وزوجته السيدة عديلة الحبشية (وقف مشترك) اللذين خصصا جزء من ريعها لهذا الغرض[١٠٢].

كذلك كان للنساء دور في الوقف على العملية التعليمية بالأزهر الشريف، حيث أوقف بعضهن لصالح علماء وأروقة الأزهر بشكل عام، وخصصت هذه الأوقاف لمساعدة الطلاب والعلماء الفقراء من كافة الأروقة والمذاهب سواء في مصاريف الدراسة أو نفقات الإعاشة. وقد بلغت أوقاف النساء لصالح الأزهر ٤٨ وقفية بنسبة ٢٩,٤٤٪ من إجمالي الأوقاف الموقوفة لصالح الأزهر، بنسبة قدرها ٤٧,٤٥٪ من إجمالي إيرادات الأزهر السنوية حسب ميزانية سنة ٤٠- ١٩٤١م. ومن الأمثلة على هذه الأوقاف؛ وقفية جميلة هانم ابنة الخديوي إسماعيل ووالداتها لصالح الطلاب الفقراء، ووقفية السيدة هانم التي خصصت نصف ربع خمسة أفدنة ليصرف على طلبة العلم بالأزهر على الدوام. كما أوقفت نساء أخريات لصالح مذاهب أو أروقة معينة، مثل وقفية السيدتين فاطمة علي حسين ونفيسة عبد الغني اللتين خصصتا ربع ريعها "للفقراء والمساكين من طلبة العلم الشريف بالجامع الأزهر برواق الصعايدة، على شرط أن يراعى الأحوج فالأحوج بأمانة الله ورسوله، وفقراء دشنا (بلدة في صعيد مصر) من طلبة العلم مقدمون على غيرهم". كما خصصت السيدة حنفية السلحدار مبلغ خمسين جنيهاً من وقفيتها "يصرف سنوياً لفقراء طلبة العلم على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بالجامع الأزهر بعد التحري عنهم من مشيخته"[١٠٣].

(١٠٢)ريهام أحمد خفاجي، "أوقاف النساء: نماذج لمشاركة المرأة في النهضة الحضارية"، *دراسة للحالة المصرية في النصف الأول من القرن العشرين*، مرجع سابق، ص ٣١

(١٠٣) المرجع السابق، ص ص ٣١- ٣٣.

(٣,٧,٢) دار الحكمة بالقاهرة كجامعة علمية

سميت أيضاً بدار العلم، وقد أنشأها الحاكم بأمر الله، وافتتحت في ١٠ جمادى الآخرة ٣٩٥هـ، بعد أن فرشت وزخرفت، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم بها القوامون والمناولون والفراشون[١٠٤].

وكانت دار الحكمة في ظاهرها جامعة حرة علنية يلتحق بها من يشاء، ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون. واستطاعت في ظل الرعاية الرسمية أن تنمو بسرعة، ولم يمض سوى قليل حتى ازدهرت وسار ذكرها في الآفاق، وهرع إليها الطلاب من سائر الأقطار، وتبوأت مركز الزعامة في الدراسات العلمية والفقهية الممتازة في هذا العصر. وكانت تجذب الأنظار بجدتها وروعتها وتصنيف علومها، كما اجتذبت بهذه الشهرة بجانب أساليبها العلمية الخاصة كثيراً من أعلام المشرق[١٠٥].

ولبثت دار الحكمة مدى قرن تنافس الأزهر في مهمته العلمية، وتتبوأ مكان السبق والزعامة في كثير من الأحيان، بيد أن عصر ازدهارها لم يطل، فقد اضطربت شئون الخلافة الفاطمية، ومعها اضطربت شئون كثير من مرافق الدولة، التي كان منها دار الحكمة، فحدث فتور في نشاطها منذ منتصف القرن الخامس الهجري، وفقدت كثيراً من أهميتها أيام الخليفة المستنصر بالله، ومازال أمرها في انحلال حتى انتهى أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه بإبطالها وإغلاقها في أوائل القرن السادس الهجري أيام الخليفة الآمر بأحكام الله، ثم أعادها المأمون البطائحي وزير الآمر بأحكام الله سنة ٥١٧هـ على نمط جديد روعي فيه تخفيف صبغتها المنهجية، ولكنها في عودتها لم تكن

---

(١٠٤)مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(١٠٥)محمد عبد الله عنان، *تاريخ الجامع الأزهر*، مرجع سابق، ص ص ٥٣- ٥٥.

في نفس المكانة التي كانت عليها سابقاً، واستمرت حوالي نصف قرن حتى نهاية الدولة الفاطمية(١٠٦).

(٣,٧,٣) جامع القرويين كجامعة علمية

تعد جامعة القرويين من أقدم جامعات العالم بعد الأزهر، حيث إن جامع القرويين لم يتحول إلى جامعة لتدريس العلوم إلا سنة ٥٣٨هـ، أما الأزهر فقد هيئ لتدريس الفقه والعلوم في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري(١٠٧).

وسرعان ما أصبح هذا الجامع يجمع بين العبادة التي أسس من أجلها، وبين التعليم والتكوين العلمي، ليصبح دار فقه وعلم، ينشر المعرفة والفكر والثقافة ويحافظ على علوم القرآن والحديث واللغة وتراث الفكر الإسلامي، بل أصبح المغرب بفضل هذه الجامعة القلعة المحافظة على العقيدة في صفائها واعتدالها. وأصبح كذلك ملتقى العلماء من داخل المغرب وخارجه وبخاصة علماء الشرق والأندلس. وكان العلماء يفتخرون بتكوينهم في هذه الجامعة العريقة، وبلقاء علمائها وفقهائها، وبذلك كانت على مدى قرون عديدة المؤسسة العلمية والفكرية التي تمد المغرب والمشرق والأندلس وإفريقية بخيرة العلماء والقضاة ورجال الإدارة والسياسة والفكر، بل وبالمجاهدين الشرفاء الأحرار الذين حموا الثغور الإسلامية، وحافظوا على وحدة البلاد(١٠٨).

ولم تقتصر رسالة التعليم في جامع القيروان على العلوم الدينية والشرعية، بل كانت العلوم اللغوية والعقلية حاضرة في حلقات الدرس؛ مما جعل الطلاب يقصدونه من المشرق والأندلس، فامتد إشعاعه الديني والثقافي والفكري على العالم الإسلامي

---

(١٠٦) المرجع السابق، ص ٥٨.

(١٠٧) محمد عبد المنعم خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(١٠٨) محمد الحجوي، *الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب*، مرجع سابق، ص ص ٩٦- ٩٧.

والغربي(١٠٩). فقد كان تفسير القرآن والحديث يلقنان بعد صلاة الفجر، والفقه والقضاء بعد طلوع الصبح، والنحو والبلاغة بعد صلاة الظهر، والنصوص الأدبية ودواوين الشعر والطب والهندسة بعد صلاة المغرب(١١٠).

وقد قامت هذه الجامعة بهذا الدور الحضاري والتعليمي بتوفيق الله للواقفين على هذا الجامع من مال الوقف الخيري، بجانب الرعاية التي نالها الجامع من ملوك المغرب في مختلف العصور. وكانت العقارات المحبّسة على هذه المؤسسة تنفق على الأساتذة والطلبة والقائمين على صيانة الجامعة، وتجهيزها وإنارتها والمحافظة على ممتلكاتها. وكانت تلك العقارات متنوعة من أرض زراعية مغروسة بأشجار النخيل والفاكهة، ومنازل للسكن، وفنادق، وحوانيت، وأفران، حتى قيل: "إن معظم أملاك مدينة فاس وضواحيها كان موقوفاً على الجامعة"(١١١).

(٣,٧,٤) الجامعة المصرية – جامعة القاهرة حالياً

جاء في كتاب تاريخ جامعة القاهرة لمؤلفه الدكتور رءوف عباس، أن الشيخ محمد عبده كان معنياً بإقامة جامعة، ورأى أن إقامة الجامعة يجب أن تكون بجهود الأغنياء، وقد استطاع إقناع المنشاوي باشا بالفكرة، إلا أن وفاة المنشاوي ومن بعده محمد عبده وأدت الفكرة. ثم تحمس مصطفى كامل لها واستطاع جذب المستنيرين من أسرة محمد علي لدعم المشروع مالياً وسياسياً، كي يكونوا أسوة لغيرهم من الأغنياء، وبالفعل دعم الأمير حيدر فاضل دعوة

---

(١٠٩) محمد الحجوي، *الوقف الخيري في المغرب قديماً وحديثاً وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي*، مرجع سابق، ص ٩٦.

(١١٠) محمد الحجوي، *الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب*، مرجع سابق، ص ص ٩٧– ٩٨.

(١١١) المرجع السابق، ص ص ٩٨– ٩٩.

مصطفى كامل وتبعه بعض الأعيان في الاكتتاب للمشروع، ولكن سرعان ما فترت الهمم لتجاهل الخديوي للمشروع[١١٢].

ثم اجتذبت فكرة إنشاء الجامعة انتباه عدد من كبار الملاك، كان على رأسهم مصطفى بك كامل الغمراوى، الذى اقترح إنشاء الجامعة فى أكتوبر سنة ١٩٠٦م، وافتتح الاكتتاب لها بمبلغ ٥٠٠ جنيه. وعلى أثر ذلك انعقد اجتماع فى منزل سعد زغلول واكتتب الحاضرون بمبلغ ٤٥٨٥ جنيهاً، ثم اجتمعت جمعية المكتتبين مرة أخرى فى "ديوان عموم الأوقاف" يوم ١٩٠٨/٥/٢٠م برئاسة الأمير أحمد فؤاد وسميت "الجامعة المصرية"، وقررت لها الحكومة المصرية إعانة سنوية قدرها ٢٠٠٠ جنيه، كما قرر لها ديوان عموم الأوقاف إعانة سنوية قدرها ٥٠٠٠ جنيه بتوجيه من الخديوي عباس[١١٣].

وقد كانت هذه الجامعة تعمل بالتوازي مع جامعة الأزهر، فبينما خصصت الأولى في ذلك الوقت للدراسات الإسلامية، كانت الثانية تقدم العلوم التطبيقية مثل الطب والهندسة[١١٤]. وقد لعب الوقف دوراً كبيراً في نشأة هذه الجامعة وفي قيامها بوظيفتها، فمن الأوقاف ما خصصت للبناء، ومنها ما خصصت لعملية التعليم،

---

(١١٢) جابر عصفور، "معنى الجامعة"، *مجلة العربي العدد ٤٥١*، الكويت: وزارة الإعلام، يونيو ١٩٩٦م، ص٧٠.

(١١٣) إبراهيم البيومي غانم، *الأوقاف والسياسة في مصر*، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ص ٢٦٣- ٢٦٤.

(١١٤) تجدر الإشارة إلى أن جامعة الأزهر في الوقت الحالي تدرس فيها العلوم الطبية مثل الطب والصيدلة وطب الأسنان، كما تدرس فيها العلوم الهندسية المتمثلة في كلية الهندسة، وذلك في كليات متخصصة بهذه العلوم تابعة للجامعة، وهذه الكليات تدرس العلوم الدينية الإسلامية بجانب هذه العلوم التطبيقية المتخصصة.

ومنها ما خصصت لإرسال طلاب متميزين لاستكمال دراستهم العليا في الجامعات الأجنبية(١١٥).

وتعد وقفية الأميرة فاطمة ابنة إسماعيل من أهم الوقفيات التي ساهمت في نشأة الجامعة المصرية(١١٦)، حيث أوقفت مساحة قدرها ٦٧٤ فداناً من الأطيان الزراعية بمديرية الدقهلية ليصرف ريعها على الجامعة، إضافة إلى ستة أفدنة ببولاق الدكرور تبرعت بها لبناء دار الجامعة – في مقرها الحالي – كما قدمت مجوهرات قيمتها ١٨ ألف جنيه (حسب أسعار سنة ١٩١٣م) ليقام بها البناء. وقد عبرت وقفية الأميرة فاطمة عن الرغبة الوطنية في توفير التعليم العالي بالبلاد عن طريق "الجامعة المصرية"، وعن طريق "البعثات العلمية" إلى الخارج أيضاً، بشرط العودة والعمل في الجامعة المصرية، واشترطت أن يصرف ريع وقفيتها المذكورة سنوياً على النحو التالي: "في تعليم أولاد المسلمين العلوم والفنون والصنايع الراقية، النافعة للقطر المصري، الموجبة لترقي الأمة المصرية لدرجات الفلاح والنجاح، حتى تساوي الأمم الراقية من الأمم الأجنبية. وفي ثمن أدوات تعليم، وكتب، وورق، ونحو ذلك ..، وفي إرسال أربعة من حاملي شهادة البكالوريا بشرط أن يؤخذ الأول فالأول منهم من أولاد المسلمين للمدارس العالية بالبلاد الأجنبية، لتعليمهم العلوم والصنايع العالية، ودفع ما يلزم لهم من المأكل والمشرب والكسوة والسكن وغير ذلك ..، وكل من تمّمّ دراسته، واستحصل على الشهادة النهائية بالعلم الذي أرسل من أجله، وجب عليه أن يُعلّم بالجامعة المصرية مدة خمس سنوات بالماهية التي تقررها له الجامعة، ولا يسوغ له بحال

---

(١١٥) R. A., Khafagy, Beyond Politics: Roles of Islamic Endowments in Resisting Colonialism in Egypt (1882- 1952), (op. cit.), p.20.

(١١٦) فاطمة السباعي، *أميرة في خدمة الشعب*، القاهرة: مجلة الأهرام الاقتصادي، العدد ١٥٦٠، ١٩٩٨م، ص١٧.

من الأحوال الامتناع عن إعطاء الدروس بالجامعة المدة المذكورة إلا إذا قام به مانع قهري .. أما إذا لم يكن به مانع .. وامتنع ..، فيكون حينئذ ملزماً بدفع كافة ما صُرف عليه من وقت سفره ليوم امتناعه[١١٧]، على أنه من باب الاحتياط يجب على رئيس الجامعة وأعضائها أن يتحصلوا من كل واحد من التلامذة – قبل إرساله – على تعهد منه بخطه وإمضائه، بأنه ملزوم قطعياً عند تمام دراسته أن يُعلّم بالجامعة مدة خمس سنوات بالماهية التى تقدرها له الجامعة، وهكذا عند إرسال كل تلميذ ..."[١١٨].

(٣,٨) المؤسسات البحثية

من المعلوم أن الأوقاف قد أدت دوراً مشهوداً في دعم البحوث العلمية والعلماء والباحثين. وقد قامت مؤسسات هي أقرب إلى كليات الطب ملحقة بالبيمارستانات تخّرج فيها الأفذاذ من الأطباء المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والقدرة والنبوغ، والذين قدموا معارف استفادت منها الإنسانية في ماضيها وحاضرها، وقامت على أساسها معظم النظريات الطبية الحديثة. نذكر أبحاث ابن سينا والفارابي والكندي، ومازالت طرائقهم في الطب تتبع في أرقى مستشفيات العالم. كما نذكر أبحاث جابر بن حيان في الكيمياء، التي قامت على أسسها نظريات علم الكيمياء الحديث. وابن خلدون عالم التاريخ، الذي وضع أسس علم الاجتماع المعاصر. وغيرهم ممن أسهموا في الحضارة الإنسانية والمعاصرة، بعد أن حرروا العلم من الخرافة ووضعوا أساسيات البحث العلمي الحديث[١١٩].

---

(١١٧) مازال هذا العرف معمولاً به في الكثير من الجامعات العربية، وإن اختلفت المدة المقررة وفق أنظمة ولوائح كل جامعة.

(١١٨)إبراهيم البيومي غانم، *الأوقاف والسياسة في مصر*، مرجع سابق، ص ص ٢٦٤- ٢٦٦.

(١١٩)عبد الله محمد أحمد حريري، *دور الوقف في دعم الجوانب التربوية والدينية والعلمية والثقافية*، مكة المكرمة: مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، شعبان، ١٤٢٢هـ، ص ص ٢٠٢- ٢٠٣.

ولاشك في أنه كان للوقف دور كبير في نهضة المدارس الطبية والبيمارستانات (كما سيأتي توضيحه) خاصة وأن هذه المستشفيات والكليات تعدُّ مراكز للبحوث النظرية والتطبيقية وخصوصاً فيما يتعلق بالطب والحكمة، حيث كان كبير الأطباء في المستشفى المنصوري يعقد دروساً في المستشفى ويناقش تلك الدروس مع زملائه وطلابه، وهذا دليل واضح على ذلك[١٢٠]. وبسبب الوقف على البحث العلمي توصل العلماء إلى كثير من الاختراعات والإبداعات في مجال الصيدلة، وعلم الأدوية، وتكنولوجيا استخراجها من النبات، وتطورت كذلك الطرق والأساليب والتقنيات التي تربط علم الكيمياء بعلم الأدوية[١٢١].

---

(١٢٠)ناصر بن سعد الرشيد، *تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها*، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية في مكة المكرمة في ١٨ ــ ١٩ شوال ١٤٢٠هـ، ص ٥٠.

(١٢١)حسن محمد الرفاعي، "الوقف على المؤسسات التعليمية (كلية التكنولوجيا نموذجاً)"، *مجلة أوقاف*، العدد١٢، السنة السابعة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، مايو ٢٠٠٧م، ص٨٦.